بهرا

العدد ٥٥٥ - الاحد ١٠ تشرين الاول ٢٠١٠م - ٦٧٦٠ آ

Bahra No. 555 Sun. 10 oct. 2010

أبيات

صباح القس

Sabah_alkass@yahoo.com

الحُصين بن الحُمام المري مانع الضيم

وقافية غير انسيّةٍ
قرضت من الشعر امثالها
شرودٍ تلمع في الخافقينِ
اذا انشدتْ قيلَ من قالها
وداعٍ دعا دعوة المستغيث
وكنتُ كمن كان لبّى لها
اذا الموتُ كان شّجا بالحلوق
وبادرتِ النفسُ اشغالها
صبرتُ لها ولم أك رعديدة
ولَلصبرُ في الروع انجى لها

ابيات الحماسة هذه قالها الشاعر الحُصين بن الحُمام المري بن بني مُرّة وكان قائدهم وسيدهم وذو العقل فيهم.

واشتهر بلقب "مانع الضيم"، وتقول الرواية ان ابنه جاء الى باب الخليفة معاوية بن ابي سفيان، فقال لحاجبه استأذن لي على امير المؤمنين وقل له: ابن مانع الضيم يطلب الاذن، فقال معاوية للحاجب: ويحك! لايكون هذا الا ابن عروة بن الورد العبسي "سيّد الصعاليك" او الحصين بن الحمام المري، فلما دخل عليه، قال له: ابن من انت، قال: انا ابن مانع الضيم، الحصين بن الحمام، فقال: صدقت، ورفع الخليفة مجلسه وقضى حوائجه.

توضح هذه الرواية المكانة العالية التي كان يحوزها شاعرنا بحيث خلدت اسمه، وقرنت افعاله ومواقفه مع افعال عروة بن الورد شاعر وفارس وسيد الصعاليك حتى ان هذا اللقب لم يعرف به الا هذان الشاعران الفارسان.

وكمثال عن منعه الضيم ماتذكره كتب التراث من ان ابن الجوشن قتل جار الحصين وكان يهوديا فأمر الحصين اهله بقتل اليهودي جار بني صرمه اهل ابن الجوشن، فعاد بنو صرمه فقتلوا ثلاثة من جوار اهل الحصين فقال الحصين: اقتلوا ثلاثة من جوار بني صرمه وهكذا اشتعلت الحرب لان الحصين رفض ان يضام جاره وبذلك يكون قد منع الضيم واستحق اللقب وقد اضطرته مثل هذه المواقف الى قتال بني عمه والانتصار عليهم وفي هذا يقول من قصيدة طويلة

نفلّق هاما من رجال اعزّةٍ
علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

وفي القصيدة نفسها تبدو الحياة عنده رخيصة

فلست بمبتاع الحياة بسبّةٍ
ولا مُرتقٍ من خشيةِ الموتِ سلّما

فليس مثل الحصين من يفضّل الحياة باقامته ورضاه باللعنة والعار والهوان والسبّة ولا يهاب الموت ولايرتضي الهرب في مواقع الحزم والشدة.

وفي تلك الواقعة قتل صديق له وهو نعيم بن الحارث وكان وفيا للحصين مخلصا له فقال الحصين في رثائه

فلا تبعدْ نُعيم فكل حيّ
سيلقى من صروف الدهر حَيْنا

والحَيْن هو الموت والهلاك، وفي هذا البيت حكمة وايمان بحقيقة الحياة والموت، وحينما تصدر مثل هذه الحكمة من الشاعر الفارس تكون الحياة عنده تحت ظلال السيوف وغبار المعارك لدفع ضيم او رد حق. وهكذا نجده يطبق القول فعلا كما في قوله

فأبنا بالنهاب وبالسبايا
وبالبيض الخرائد واللقاح

لقد عاد وقومه منتصرين وجلبوا معهم الغنائم والسبايا والفتيات البيض والنوق الحلوبة.

والابيات المتقدمة في الحماسة بدأها بذكر شعره الذي الهمه اياه الشيطان كما كان يعتقد العرب فهي ليست من ابتداع الانس اي الانسان وهذه القوافي سيحملها الركبان لجمالها ومعانيها وستصل الى مشارق الارض ومغاربها، وسيسأل كل من يسمعها عن قائلها.

ثم ينطلق بعد هذه المقدمة في الحديث عن شعره الى غرض القصيدة وهو الحماسة.

فحينما دعا المستغيث طالبا النجدة لم يجد الحصين بُدّا من اغاثته ومساعدته وماذا يمكن ان يكون في اغاثة المحتاج؟ اهو الموت؟ فاذا وقف الموت شكا في الحلق واشغلت النفس في معالجة الامر فان الصبر هو مفتاح النصر. لان الصبر على المكارة والصعاب من صفات الفرسان الشجعان، ولم يكن شاعرنا رعيدا جبانا فيتخذ الهرب ملاذا، لان الصبر يحقق النصر وهو انجى للنفس، فعند الهرب يتمكن العدو من الهارب فيصيبه اما الثبات فانه يخيف العدو، ويضعف معنوياته وقلبه فيسهل حينها الانتصار عليه.

الإيقاعية الشعرية بين القديم والحديث

مهداة الى الشاعر زهير بهنام بردى

مثنى كاظم صادق

يخضع الإيقاع في الشعر العربي لسلسلة من المتناقضات التي أثيرت حوله والتي زادته غموضا وعتمة ومن هذه الإشكاليات وأهمها إخضاع النصوص الشعرية لمستويين إيقاعيين أولهما: الإيقاع الخارجي الذي يتعلق بالوزن والقافية وثانيهما: إيقاع داخلي أو ما يعرف ببلاغة الإيقاع الشعري ولعل ما أوقع النقاد في هذا التقسيم هو تفاوت النصوص الشعرية في مستوى إيقاعها، إذ عللوه بوجود الإيقاع الداخلي الذي يستقي مادته من النبر ومادته الجناس والسجع وغيره و لما كان الإيقاع في الشعر مرتبطا بالعروض والإنشاد، لذا فهو ـ الإيقاع ـ يتغير بحسب اللغات وطبيعة الشعر فالإيقاع في اليونانية ليس هو الإيقاع في الفرنسية أو الإنجليزية وهكذا . ظلت موسيقى الشعر العربي بأوزانه وعروضه تقوده الذائقة الشفاهية في تلقي نشيدها نظرا لما للإيقاعية من أثر فاصل في التفريق بين ما هو شعري، وما هو غير شعري من نثر ونص قرآني وحين وصلت الحداثة لتستقر في ربوع الثقافة العربية طفق غير واحد من المنظرين يحاولون فهم هذه الثورة الإيقاعية محاولين سبر غور التراث بغية دراسته إيقاعيا من جديد إذ شكلت رؤية إليزابيث درو للوزن تساؤلات كثيرة إذ إن الوزن ـ بحسب درو ـ ليس "إلا عنصرا واحدا من عناصر الإيقاع"، فالإيقاعية تفضي إلى معنى شمولي، وهي عنصر كبير في النسق الموسيقي للنص، وهذا يعتمد على المعنى أكثر مما يعتمد على الوزن، وعلى الإحساس أكثر من التفعيلات في بعض الأحيان، وقد وجد الدكتور سمير الخليل أن إيقاع الشعر الحر ينتمي إلى ثلاثة أنظمة إيقاعية وهي: نظام التفعيلة الأحادية وهي تكرار التفعيلة نفسها بلا حدود مثل متفاعلن أو مستفعلن أو فاعلاتن ، وهذا نلحظه في قصيدة السياب "غريب على الخليج" التي بنيت على تفعيلة واحدة وهي "متفاعلن" أما النظام الثاني فأطلق عليه الدكتور سمير الخليل اسم النظام الثنائي التفعيلة واصفا إياه بأنه نظام تهيمن فيه تفعيله واحدة فضلا عن تفعيلة متطرفة وقام بتقسيم هذا النظام على ثلاثة إيقاعات هي: إيقاع مستفعلن... فعولن/ إيقاع مستفعلن... فاعلن / إيقاع... مستفعلن.. مفعولات إذ إن التفعيلة الثانية غير لازمة دائما، أما النظام الثالث فأطلق عليه اسم " نظام التنوع" يتحول الشاعر فيه من إيقاع إلى آخر وقسمه إلى ثلاثة أقسام هي: أولا: التنوع المقطعي، وفيه ينتقل الشاعر من إيقاع على آخر داخل السطر وثانيا: التنوع السطري، وفيه ينتقل الشاعر من إيقاع إلى آخر في كل سطر وأما الثالث فاسماه التنوع البيسطري ينتقل فيه الشاعر من إيقاع إلى آخر داخل السطر وهذا الثالث يقترب من النثر أكثر، فهو غير مقبول إيقاعيا برغم وجود الإيقاعات فيه، وهذا يعني أن القصيدة النثرية لا تخضع لأية نمطية لخلوها من الإيقاع، ولكن قالوا: بوجود إيقاع الفكرة أو المعنى وتكثيفها ، فضلا عن ذلك أن كلمة الإيقاع لم ترد في التراث النقدي والبلاغي العربي إلا للدلالة على مكون من مكونات الموسيقى ويقابل هذا المفهوم الوزن في الشعر. ولعل الناقد الدكتور ستار عبد الله كان مصيبا حين نفى أن يكون الشعر العربي قديمه وحديثه خاضعا لمستويين إيقاعيين بل إنه إيقاع شعري واحد حين ينتظم، تكتسب الأصوات من خلاله في القصيدة انتظامها الموسيقي وعليه فإن سرعة الإيقاع وإبطائه في الشعر والموسيقى تتوقفان على طبيعة مضمونه ودوره الفني ووظيفته الأجتماعية. ويبدو أن الإيقاع مفهوم اتسع في مدلولاته في الكثير من الأجناس الأدبية على اختلافها وهذا عصي على الرصد، وخلاصة القول: أن الإيقاع قديما يختلف عن الإيقاع حديثا وهذا واضح مما سبق فضلا عن الإيقاع في المسرحية الشعرية يختلف عن الإيقاع في القصيدة وهكذا....

بائعة الزهور

بائعة الزهور

يونادم بنيامين

الوقت يلف ذاكرتي
ونواقيس الفجر تأخذني
راهباً في صومعة الخلد
أتزهد أكثر على موائد التفاحات الشهية
أقطف أسمي،
وأرميه فوق موجات النهر المسترخي
صوب الكروم
وبائعة الزهور
تبيع النرجسات
وقت المساء
تطرق نوافذ الشعراء
وترميهم بأسهم القوافي
ودنان الخمر، تنهمر
تصير لغة الماء والقمر
والنهر والحسناء
تعلمني عطر النعناع
وقمر المساء
يدور حولي كالينبوع يكتب أبجدية الحياة
وبائعة الزهور
تترك كل الموائد والخمور
ترمقني
في الحلم ساعة اللقاء
قصيدة وفجرا جديدا
تنزع لأيام الصبّا
والصبّا الشرقية
تعلمني فنون المدن المنسية
أرجع مثل الزمن المكور بلا ألقاب
وأرتمي في أحضان
الورق المتطاول
حول أعناق الصخور ساعة الوداع
أندب، حظي بين حافة الوادي
والشوك اللعين
الذي صار مثل واحة مليئة بالبدو
والفقراء
مثل الأرطاب
يحلو المقام والجلاس، خلان
يتسامرون
بأرغفة على شكل هلال وصليب
وطن جميل، مصاب بالنعناع والينابيع
تعلم الأطيار فن الحب والغناء
بائعة الزهور ترشف رحيق المساء
والعنبر على الشفاه

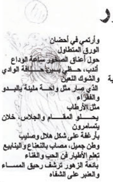

قبسات

أثرا منصور كادو

athra_kado@yahoo.com

الإدراك
Perception

في أحد الأيام من شتاء العاصمة واشنطن الباردة، وداخل إحدى محطات القطار، كان هناك عازف كمان يعزف وحيداً بين الجموع المارة، إذ عزف خلال ٤٥ دقيقة ست مقطوعات موسيقية وأثناء ذلك مرّ من هناك ما يقارب ألفي شخص، كان أغلبهم في طريقهم إلى العمل ولم يلاحظ العازف عدا البعض منهم.

سمع عزف الكمان أحد المارة –وهو في منتصف عمره– فأبطأ السير وتوقف لبضع ثوان ليستمع لجمال العزف... ثم تذكر موعده وأسرع ذاهباً وبعد أربع دقائق قبض العازف دولاره الأول من امرأة رمت المال في القبعة وهي سائرة في طريقها، وبمضي بعض الوقت كان أحد الشباب ماراً من هناك فاتكأ على حائط ليستمع إلى العازف... بعدها نظر إلى ساعته وأدرك تأخيره فأكمل طريقه مسرعا. ومن ثم توقف طفل في الثالثة من عمره ولكن أمه جذبته باستعجال فحاول مرة أخرى التوقف للإستماع إلى العازف... لكن جذبة أمه هذه المرة كانت أقوى فتابع السير ملتفتا إلى العازف خلال الطريق.

وهذا الأمر تكرر من قبل عدد من الأطفال المارين من هناك، ولكن جميع الأمهات وبدون استثناء أجبرن أطفالهن على التحرك.

وخلال الـ"٤٥ " دقيقة من العزف الجميل توقف ستة أشخاص فقط لبرهة خلال ذلك الوقت ليستمعوا إليه، ونحو عشرين آخرين أعطوا المال وهم سائرون في طريقهم بدون توقف، في نهاية الأمر أصبح مجموع ما جمعه العازف ٣٢ دولارا.

أنهى العازف مقطوعاته بعد مرور ساعة كاملة وخلق الصمت مكانه. ولكن لا أحد لاحظه أو صفق له، إذ لم يميزوه أصلا ولم يعرف أحد بأن العازف كان "جوشوا بيل" الذي هو من أعظم عازفي الكمان في العالم، وكان يعزف إحدى أصعب المقطوعات التي كتبت قطعا بكمانه من نوع "ستراديفاريوس" الذي يساوي ٣,٥ مليون دولار.

والأغرب أنه قبل أيام كان "جوشوا بيل" يعزف نفس تلك المعزوفة في إحدى مسارح بوسطن وبسعر ١٠٠ دولار للتذكرة الواحدة!!

هذه القصة حقيقية... العازف الكبير "جوشوا بيل" عزف المقطوعة المسماة "التخفي" في محطة قطار في العاصمة واشنطن، كجزء من تجربة نظمتها جريدة "واشنطن بوست" عن "الإدراك، الطعم وأولويات الناس".

هذا الاختبار أثار بعض الشكوك:

- في مكان عام، وخلال ساعة غير ملائمة، هل نلاحظ الجمال؟
- إذا لاحظناه، هل سنقف لنقدّره؟
- هل ندرك بالموهبة في سياق غير متوقع؟

وصلنا من هذه التجربة إلى استنتاج:

إذا لم يكن لدينا لحظة للتوقف ونستمع لمعزوفة أفضل العازفين في العالم وهو يعزف من خيرة المقطوعات التي كتبت في العالم. وبأرخص التذاكر...

فكم عدد اللحظات الجميلة التي أضعناها خلال اندفاعنا في حياتنا؟!!!.

ترجمة بتصرف من موقع Fropki.

البسي جلدي

للشاعر: اكرم يلدكو

حين اكتبُ لك
يختنقُ اليراعَ وتموتُ الكلماتُ
فأعلمُ
أنكِ الرنةُ والأبحرُ والأبجدياتُ

•••

أخت قلبي
تعاليْ البسي جلدي
وأخلعي عن قدميكِ زحمةَ الطرقات
أجمعي بقاياي
فأنها اوصال مقطعةٌ مزّقها الزناة
وكل ما اعرفُ
اني لا اعرفُ كيف اكتبُ
والملمُ بقايا التشظي والشتاتِ

•••

حبيبة الصبا...
تعالَي وارحَمي جلديْ
ظمأ أديمي وضاقت بي المسافاتُ
كل شيء لكِ يبكي
فناءُ الدارِ الحزين
وهشيمُ المرايا.. وشظايا الزجاجات
فأنت..
وأنتِ وحدكِ
تعيدين لي الاملَ والحبَ والذكرياتِ
وأمسحي عن وجهي البؤسَ
وازرعيهِ حقلاً للقاءِ والبسماتِ

•••

ديوان اطراس البنفسج جديد شاكر سيفو

بهرا ـ خاص

صدر الديوان الجديد "اطراس البنفسج" للشاعر شاكر مجيد سيفو، يحتوي على مجموعة قصائد من الشعر الحر. وجاء الديوان في كتاب من القطع الوسط على ١٤٠ صفحة افترشت صفحاته تسع عشرة قصيدة ومنها "الارض كلها في قميصه، مقامة الورد، لأجل كل هذا، احتفاءا بسونات المطر، قامت الهواء،..........". ومن قصائد الديوان قصيدة...

"اميتافيزيقيا المياه"
اهداء الى الراحل العزيز الفنان فائز وديع كجو

ماهذه الشمس الراحلة؟
كلما نفخت في فمها
اسودت شفتاي
واسودت ظفائرها
ونام العالم كله في عباءة سوداء!
متى سنهبط معاً...
اكتب لك ايها الصديق العزيز
وعيناك تنطران ذكرياتنا
انني اتوق الى حرائق نينوى!
انت لم ترحل
ولهذا انا باق معك
لا استطيع الرحيل!

الشاعر في سطور

شاكر مجيد سيفو من مواليد العراق في محافظة نينوى/ قرقوش "بغديدا" ١٩٥٤ وهو شاعر وكاتب واعلامي، له مؤلفات عديدة باللغة العربية ومؤلفات باللغة السريانية، وقد كتبت عن مؤلفاته الشعرية العربية والسريانية دراسات نقدية باقلام نقاد وكتاب عرب وعراقيين.

شاكر مجيد سيفو
أطراس البنفسج

حَربُ التّنظِيرِ!

موشي بولص موشي

في تَطوُّرٍ دَرَامَاتِيكيٍّ حَولَ الشَّأنِ العِرَاقِيِ،عَبّرَ زُعَمَاءُ قَبَائِل "التوتسي والزُّولُو والهُوتو)ألأفرِيقيّةَ المُجتَمِعينَ حَولَ "بُحَيرَةِ التَّمَاسِيحِ" عَن امَتِعَاضِهِم مِنَ تَصَرُّفَاتِ السِّيَاسِيِّينَ العِرَاقِيِّينَ بِسَبَبِ عَدَمِ أستِشَارَتِهِم حَولَ تَشكِيلَ الحُكُومَةِ المُرتَقَبَةِ،وَأكّدُوا فِي بَيَانٍ مُشتَرَكَ شَدِيدِ اللّهجَةِ نَقَلَتهُ وكَالَةُ أنبَاءِ "أدغَالِ أفرِيقيَا" شِبه الرَّسمِيّةِ مِنَ أنَّ ألأوضَاعَ ألأمنِيَّةَ فِي البَلَدِ سَوفَ تَشهَدُ تَرَاجُعاً خَطِيراً مَا لَم يَأخُذ السِّيَاسِيُّونَ العِرَاقِيُّونَ مَصَالِحَ تِلكَ القَبَائِلَ بِالحُسبَانَ!.........سَلامَاً يَا عُرَاقَ.

ثقة الكاتب.. بين النّقد والهجوم

بقلم: زينب البحراني

يقول الرّوائيّ الليبي إبراهيم الكوني على صفحات رائعته الرّوائيّة "من أنت أيّها الملاك؟": " لا أريد أن اطعمك أوهامًا كما يفعل الكثيرون في مهنتنا هذه، ولكنّ اليقين أنّ فرصة التوفيق في قضيّتك لن تزيد عن الخمسين في المائة مهما ابستنجدت بالمنطق، ومهما استجرت بما تسميه الحقيقة العارية. أمّا نسبة الإخفاق فلن تقل عن الخمسين في المائة أيضًا، أي أنّ الفرصة متساوية، كما ترى، مثلها مثل كل مُغامرة؟!". والكتابة هي الأخرى قضيّة كبرى، ومُغامرة هائلة لا شكّ فيها، ولا يسعنا أن نتوقّع توفيقًا نقديًا أو جماهيريًا يتفوق على نسبة الخمسين بالمائة لأيّ إصدار نخوض مُغامرة نشره مهما بذلنا أقصى ما بوسعنا لأجل إبرازه في أحسن مضمون وأجمل صورة، لأنّ تباين الأفكار، والثقافات، والآيديولوجيّات، والمبادئ، والطبائع، فضلا عن اختلاف الأمزجة بين ناقد وآخر، وقارئ وآخر يجعل من اتفاقهم جميعًا على جودة عمل أو رداءته نتيجة مُستحيلة. ولو نقّبنا في تاريخ الأدب لما أظننا نجد إصدارًا واحدًا لم يقابل باستهانة أو هجوم مهما كثر عدد المُصفقين له إيمانًا بجودته. بل إنّ بعض البشر قد وأتته الجُرأة على نقد الكُتب السّماويّة ومُهاجمتها مضمونا وأسلوبًا، الأمر الذي يجعل تلقي نصّ كتب بيد البشر لهجوم بشريّ قضيّة من قضايا أرشيف المُسلّمات. وأهمّ من يُدلون بآرائهم عن إصدار الكاتب ثلاثة نماذج من البشر:

أوّلا: النقّاد المُتخصّصون: النقّاد المُتخصّصون، يمتلكون ثقافة شموليّة عامّة، وثقافة أدبيّة خاصّة، ومهارات نقديّة تؤهّلهم للتغلغل بين حروف النص وفواصله، وتحليله بموضوعيّة لا يُجانبها الكثير من العُمق والصّواب. وهؤلاء عددهم قليل جدًا في وطننا العربيّ، وأقلّ منهم أولئك الذين يهتمّون بنقد نصّ أدبيّ لوجه الأدب وحده دون اعتبارات شخصيّة أو مُجاملات رافدة لعلاقاتهم العامّة. آراء هذا النوع من حاملي رسالة النقد تقابل باهتمام واحترام شديدين من قبَلي ككاتبة، وأعتبر أنّ كل كلمة يكتبها أحدُهم هي بمثابة نصيحة تستحق من قلمي أذنا مُصغية، ومُطيعة في أكثر الأحيان. لكن في الجانب ذاته هناك نقاد يحتاج أسلوبهم النقديّ إلى نقد أدبيّ من جانب مُعاكس يقوّمه ويُسدّد طريقه، لأنّهم – على خبرتهم النقديّة– يجهلون الطريقة اللفظيّة الصّحيحة في تقديم النصيحة البنّاءة للنص وكاتبه دون تفريطٍ في الإشارة إلى إيجابيّاته، وإفراط في مُهاجمة السلبيّات بطريقة قادرة على تعقيد نفسيّة الكاتب، وتدمير ثقته بنفسه، وتنفيره من الاستمرار في الكتابة. والتعقيد والتدمير والتنفير موهبة كبرى لا يُدركها إلا الرّاسخون في التجريح المُبطن، الذين يستطيعون بخمس كلماتٍ هدم ثقةٍ يصعُب هدمها بخمسين ألف صفحة كتبَت بيد غير مُتمرّسة في الهدم حتى وإن كانَ عن حُسن نيّة. يحكي الكاتب "يوسف معاطي" أنّ الناقد الفذ "رجاءِ النقّاش" رحمه الله قال له مرّة: " إذا اتهم ناقد مؤلفا بأنّه لا يعرف الكتابة، فهناك احتمالان لا ثالث لهُما: إمّا أن تكون تعرف الكتابة وهو يظلمك، فلا تهتم. وإمّا أن تكون فعلا لا تعرف الكتابة، وهذه ليس لها حل".. ثمّ يُكمل "يوسف معاطي" مُعقبًا بقوله: " إنت كتبت خلاص.. ح تعمل إيه يعني؟!"(١). فالنقد يجدُر به أن يكون مُسددًا، ومُقوّمًا، ومُشجّعًا لصعود البدايات بنضج، لا إسقاطها سواءً كان ذلك عن حُسن أو سوء نيّة، وحُسن النيّة مهما كان كبيرًا لا يشفع أبدًا للإيذاء، لأن نتيجة الإيذاء المعنويّ تبقى "واقعًا" سواءً كان ذاك الإيذاء مُتعمّدًا أم غير مُتعمّد، والقتل الخطأ يتساوى مع القتل العمد في إفقادهما الإنسان حياته وعجز أيّ من مقترفيهما عن ردّها إليه بعد فواتها. وهُناك نُقّاد آخرون يستهويهم قصف معنويّات الكاتب عن سابق تصميم، وتصوّر، وسوء نيّة، وضحالة تهذيب، وقصور فاضح في الثقافة والشعور. هؤلاء هُم الذين وصفتهم الكاتبة "أحلام مُستغانمي" بأشخاص "يُمارسون النقد تعويضًا عن أشياء أخرى" ، وهؤلاء لا يستحقون أكثر من التجاهُل الذي حرّضت عليه على لسان بطل روايتها بقوله: " سيقول نقاد يُمارسون النقد تعويضًا عن أشياء أخرى، إنّ هذا الكتاب ليس رواية، وإنما هذيان رجل لا علم له بمقاييس الأدب. أؤكد لهم مُسبقا جهلي، واحتقاري لمقاييسهم. فلا مقياس عندي سوى مقياس الألم، ولا طموح لي سوى أن أدهشك أنت، وأن أبكيك أنت، لحظة تنتهينَ من قراءة هذا الكتاب".. فالشعور هو أساس الأدب، ومقياسه الأوّل، ثمّ تليه مقاييس النقد الفنيّة وما يُحرّض عليه من تقنيات أدبيّة مُستمرّة في التغيّر والتطوّر. وفي النهاية، لا ينبغي على الكاتب أن يحمل النقد كله على محمل الجدّ دون غربلة، لأنّ ذلك خليق بقتل كل حماسه الأدبيّ، وأكثر شهيّته للكتابة. الأمر الذي يجعلني مؤمنة أشدّ الإيمان بعبارة الكاتب أحمد خالد توفيق التي تقول: "عندما تتزايد ملكة النقد لا يعود المرء قادرًا على كتابة حرف واحد.. من المُفيد أن يكون الأديب على درجة من السّذاجة والغرور الطفوليّ وإلا لمّا كتب حرفًا.."

ثانيًا: القرّاء المُحترفون: وهؤلاء منهم المُتمرّسون في ميدان الكتابة الأدبيّة الاحترافيّة، ومنهم المُبدعون في مجالات أخرى، ومنهم القرّاء المُخضرمون الذين لا تعرفهم الأوساط الثقافيّة المُحاطة بالأضواء؛ ولكنهم يمتلكون ذائقة أنضجها اطلاعهم على مئات الكتب. و لهذا يفصحون عن آراء قد تتفوّق – بسلبيّها وإيجابيّها– على رأي الناقد المُختص أحيانا، لأنهم يتحدثون عمّا أجاد فيه النص أو أخفق تحت سقف مُعتدل من الدّافعيّة للجمال والإتقان دون أن يُخلوا الكاتب في متاهات تعقده نفسيًا، وتعقد قلمه معه.

ثالثًا: القرّاء المُتساقون والتّائهون: وهؤلاء هم السّواد الأعظم من جمهور المدلين بتطبيقاتهم على مضمون أيّ كتاب يُكتب له سعة الانتشار في وطننا العربيّ. منهم الإمّعة المُتساق لقراءة أيّ كتاب محفوف بالتطبيل والتزمير والإعلان التّجاريّ المُكثف مهما بلغ من تفاهة المضمون والأسلوب، ومنهم من يُسارعون بحشر أنفسهم بين أفواج المُطبّلين الهاتفين لصالح إصدار دون قراءته. وجلّ أرباح كتابات الفسق والتعرّي المُبالغ فيه والفجور الورقيّ الفاضح تتغذى من جيوب أولئك السذّج من منطلق إيمان الكاتب أو الناشر بالمثل القائل: "رزق الهبل على المجانين". وآراؤهم شديدة الخطورة على مُستقبل الأدب العربيّ، لأنّ أذواقهم المُراهقة تروّج للعناوين التافهة بكثافة، ولا يفهمون من اللغة المقروءة إلا أرذلها وأشدّها ابتذالا. يُذكرني هذا النوع من القرّاء دومًا بمشهد "كلمونا بالهجايص" الذي دار بين كلٍ من الفنان المرحوم أحمد زكي والممثل سعيد صالح على خشبة مسرحيّة "العيال كبرت". وجماعة "كلام الهجايص هؤلاء" تقلّب موازين الجودة والرّداءة بتفضيلها قراءة روايات "الهجايص" على النصوص الأدبيّة الرّصينة، أو التي تحترم نفسها على أقلّ تقدير. وقد توسوس لهم أنفسهم بأنهم من نخبة القرّاء، فتدفعهم للجرأة في مُهاجمة الإصدارات التي لا تساعدهم مواهبهم الفكريّة الضعيفة على فهم مضمونها حتّى وإن فهمها سواهم من القرّاء الذّوّاقين. لكنّ جهلهم يبقى عُذرًا لهم، مُذكرًا بحكمة الشعر على لسان "الخليل بن أحمد الفراهيدي" حين أنشد:

لو كُنتَ تعلم ما تقول عذرتني
أو كُنتَ تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني
وعلمتُ أنّك جاهلٌ فعذرتُكا

رابعًا: المرضى النفسيّون والحاقدون: أمّا هؤلاء فعددهم يُنافس أعداد القمل والذباب. يكشفون عن أنفسهم بكلمات موغلة في سُخريتها، وإهانات لشخص الكاتب نفسه، ومُحاولات مكشوفة لإسقاط الكتاب وإلغاء شأنه بأسلوب يُفشي جهلهم بمضمون الكتاب وعدم اطّلاعهم عليه أصلا!، ومن الصّعب أن يُلام أمثالهم على نشاطاتهم اللفظيّة السّامّة، لأنها وليدة أمراض وعُقد نفسيّة ناجمة عن عدم ثقة بالنفس، وحقد عام على الناجحين، وعجز عن إدراك ركب النجاح، وفراغ روحيّ لا يجد الطريق إلى إشباع نفسه. إنهم مساكين يحتاجون العلاج ويستحقون الشفقة. تذكرني كل صدفة تجعلني هدفا لأمثالهم ببطل رواية "حين تركنا الجسر" لـ "عبد الرّحمن مُنيف" حين قال: " سألت نفسي: ماذا أريد من هذه المخلوقات البذيئة؟.. أجبت بثقة: لو كانت جديرة بالرّصاص الذي يُطلق عليها لما ظل واحدٌ منها حيًا".. وأولئك المرضى ليسوا فقط غير مُستحقين لكلماتنا، أو التفاتنا، وإنما أقل شأنا حتّى من الدّقائق التي قد ننفقها في التفكير بتفاهاتهم.